بـاب

قال أبو العباس: قال اللَّيْثِيُّ[1]: أعتقَ سعيدُ بنُ العاصِي أبا رافعٍ إلاّ سَهْماً واحداً فيه، مِن أسْهُمٍ لم يُسَمَّ عَدَدُها لنا، فاشترَى رسولُ الله ﷺ ذلك السهمَ
[٢٨٣] فأعْتَقَه[2]، وكان لأبي رافعٍ بَنُونَ أشرافٌ، منهم: عُبيدُالله بنُ أبي رافع، وحديثهُ أثبتُ الحديثِ عن عليِّ بنِ أبي طالب، وكان كالكاتِب له، وكان عُبيدُ الله بنُ أبي رافعٍ شريفاً، وكان عُبيدُالله يُنْسَبُ إلى وَلاءِ رسولِ الله ﷺ، فلما وَلِيَ عمرُو بنُ سعيدٍ الأشْدَقُ المدينةَ لم يَعْمَلْ شيئاً قبلَ إرساله إلى عُبيدالله بن أبي رافعٍ، فقال له: مَوْلَى مَنْ أنتَ؟ فقال[3]: مولَى رسولِ الله ﷺ، فأبْرَزَه[4] فَضربَه مائةَ سوطٍ، ثم قال له: مَوْلَى مَنْ أنْتَ؟ فقال: مولى رَسولِ الله ﷺ، فضربه مائةً أخرى، فلما رأى عبدُالله أخاه غيرَ راجعٍ، وأن عَمْراً قد ألَحَّ في ضَرْبِه[5]، قام إلى عمرٍو فقال[6]: اذْكُرِ المِلْحَ، فأمسك عنه.

---

(١) بعده في زيادات ر: «هو الجاحظ». وفي ج: وهو الجاحظ.

(٢) يروى أن أبا رافع كان عبداً للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي (ص) فلما أن بشر النبي (ص) بإسلام العباس أعتقه؛ وقيل كان لسعيد بن العاصي إلا سهماً من سهام فأعتقه سعيد واشترى رسول الله (ص) ذلك السهم فأعتقه. انظر المعارف ٦٣، وسير أعلام النبلاء ٢/١٦، ورغبة الآمل ٥/٢.

(٣) في ر: فقال له.

(٤) في الأصل وج: فبرّزه.

(٥) في ر: ألحّ عليه في ضربه.

(٦) في ر وج: فقال له.

والمِلْحُ ههنا اللَّبَنُ، يريدُ الرَّضاعَ، كما قال أبو الطَّمَحانِ القَيْنيُّ:

وإنّي لأَرْجُـو مِلْحَهـا في بُـطونـكم وما بَسَطَتْ مِنْ جِلْدِ أَشْعَثَ أَغْبَـرَا[1]

وكما قال الآخرُ[2]:

لا يُـبْـعـدِ اللهُ ربُّ الـعِـبـا دِ والمِلْحُ مـا وَلَـدَتْ خـالِـدَهْ[3]

ويُرْوَى أنَّ عُبيدَالله بنَ أبي رافع أتَى الحسنَ بنَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ [٢/١٢٢] فقال: أنا مولاك، فقال في ذلك مَوْلىً لِتَمَّامِ بنِ العبَّاسِ بنِ عبد المُطَّلِبِ، يَعْذُلُهُ ويُعَيِّرُهُ:

جَحَـدْتَ بني العَبَّـاس حَقَّ أبيهِمُ فما كُنْتَ في الدَّعْوَى كَريمَ العَوَاقِبِ

مَتَى كَـان أولادُ البَنـاتِ كَـوَارِثٍ يَحُـوزُ ويُدْعَى والـداً في المَنَاسِبِ

يُريدُ أنَّ العباسَ أَوْلَى بوَلاء مَوْلَى رسولِ الله ﷺ، لأن العَمَّ مَدْعُوٌّ والداً[4] في كتابِ

---

(١) بعده في زيادات ر: «كذا وقعت الرواية، والصواب «أغبر» لأن قبله:

ولـو عـلمـت صـرف الـبـيـوع لـسـرّهـا بمكـة أن تـبـتـاع حـضـاً بـإذخـر

قاله ش».

وهو على الصواب في ف. وبهامش ج ما نصّه: «أغبر، روى ع وقال: الشعر مخفوض». وبهامش هـ ما نصّه: «البيت من قصيدة قافيتها الراء المكسورة منها:

جـزاء سـنـمّـار جـزوهـا وربّـهـا وبـالـلات والـعـزى جـزاء المـكـفّـرِ

وأولها:

ألا حـنـت المـرقـال واشـتـاق ربّـهـا تـذكـر أرمـامـاً واذكـر مـعـشـري

المرقال: ناقته، وأرمام موضع».

وانظر الشعر والشعراء ٣٨٩، وسمط اللآلي ٤٠٥، ورغبة الآمل ٤/٥، وقصائد جاهلية نادرة ٢٢٠.

(٢) هو نهيكة بن الحارث المازني من مازن فزارة. والبيت من أبيات له أنشدها ابن الأعرابي في نوادره. انظر الخزانة ١٦٤/٤، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢٩٦/٤، ورغبة الآمل ٥/٥. ونسبه المفضل بن سلمة في الفاخر ١٠ لشتيم بن خويلد الفزاري. ونقل عن المبرد نسبته إلى ابن الزبعري، انظر شعره ص ٣٥، وشرح شواهد المغني ١٩٥.

(٣) قال أبو الوليد الوقشي فيما كتبه على الكامل على هذا البيت: «خالدة هي بنت أرقم أم كردم وكريدم ابني شعبة الفزاريين، وكردم هو الذي طعن دريد بن الصمة يوم قتل أخوه عبد الله..» عن الخزانة وشرح أبيات مغني اللبيب.

(٤) في الأصل: يدعى أباً.

الله تعالى[1]، وهو يَحوزُ الميراثَ.

وقال رجلٌ من الثَّقَفِيِّينَ: أَنْشَدْتُ مَرْوانَ بنَ أبي حَفْصَةَ هذين البيتين، فوقع عندي أنه من هذا أخَذَ قولَه[2]:

أَنَّى يَكُونُ ولَيْسَ ذاكَ بكائنٍ ... لِبَنِي البَناتِ وِراثَةُ الأَعْمامِ
أَلْغَى[3] سِهامَهُمُ الكِتابُ فما لَهُمْ ... أنْ يَشْرَعُوا فيه بغَيْرِ سِهَامِ

[٢٨٤] وقال طاهِرُ بنُ عليِّ بنِ سليمانَ بنِ عليِّ بنِ عبدالله بنِ العَبَّاس للطَّالِبِيِّين:

لو كان جَدُّكُمُ هناكَ وَجَدْنا ... فَتَنازَعَا فيها لِوَقْتِ خِصَامِ
كان التُّراثُ لِجَدِّنا مِن دُونِهِ ... فَحَواهُ بالقُرْبَى وبالإسلامِ
حقُّ البَناتِ فَرِيضَةٌ معروفةٌ[4] ... والعَمُّ أَوْلَى من بني الأَعْمامِ

وذكر الزُّبَيْرِيُّون عن ابنِ الماجِشُون قال: جاءني رجلٌ من وَلَدِ أبي رافعٍ، فقال[5]: إني قد قاوَلْتُ رجلاً من مَوَالِي بعضِ العربِ، فقلتُ: أنا خيرٌ منكَ، فقال: بل أنا خيرٌ منكَ، فما الذي يَجبُ لي عليه؟ فقلتُ: ليس في هذا شيءٌ، فقال: أنا مَوْلَى رسول الله ﷺ، ويَزْعُمُ أنَّه خيرٌ مني؟! قال: قلتُ: قد يَتَصَرَّفُ هذا على غير الحَسَبِ، قال: فلما رآني لا أَقْضِي له بشيء، قال[6] لي: أنت دافعٌ مَغْرَماً؛ لأنَّ

---

(١) قال الشيخ المرصفي: «وفي حديث رسوله. أما الكتاب ففي قوله عز شأنه: ﴿ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ﴾ [سورة البقرة: ١٣٣] فجعلوا إسماعيل أبا ليعقوب وهو عمّه. وأما الحديث فقوله (ص) يشير إلى عمه العباس: هذا بقية آبائي، وقوله: ردوا عليّ أبي» رغبة الآمل ٥/٦.

(٢) شعره ق ٥/٦٦، ٦ ص ١٠٤.

(٣) في أ وب وس وج وهامش هـ: «ألقى».

(٤) في أ وج وهـ: «معلومة». وفي الأصل: معلومة، وبهامشه معروفة.

(٥) في الأصل وهـ: فقال لي.

(٦) في الأصل وظ: قال قال لي.

وَلائي عندَه[1] ليس في موضعٍ مَرْضِيٍّ[2]؟ قال: وصَدَقَ، في بني تَيْمٍ لِتَيْمٍ مَنْ هو أشرفُ وَلاءً مِنِّي.

***

وحُدِّثْتُ أنَّ أُسامةَ بنَ زَيْدٍ قاوَلَ عَمْرَو بنَ عثمانَ في أمْرِ ضَيْعَة يدَّعيها كلُّ واحدٍ منهما، فَلَجَّتْ بهما[3] الخصومةُ، فقال عمرو: يا أسامةُ! أتأْنَفُ أن تكونَ مولايَ؟ فقال أُسامةُ: والله ما يَسُرُّني بوَلائي مِن رسول الله ﷺ نَسَبُكَ! ثمَّ ارْتَفَعا إلى مُعاويةَ، فَلَجَّا بين يديه في الخُصُومة، فتقدَّم سعيدُ بنُ [١/١٢٣] العاصي إلى جانب عَمرٍو فجعل يُلَقِّنُهُ الحُجَّةَ، فتقدَّم الحسنُ إلى جانب أُسَامَةَ يلقِّنُه، فَوَثَبَ عُتْبَةُ ابنُ أبي سفيانَ فصار مع عَمْرٍو، ووثَبَ الحسينُ فصار مع أسامة، فقام عبدُالرحمن ابنُ أُمِّ الحَكَم فجلس مع عمرو، فقام عبدُالله بنُ العبَّاس فجلس مع أسامة، فقام الوليدُ بنُ عُقْبَةَ فجلس مع عمرو، فقام عبدالله بنُ جعفرٍ فجلس مع أُسَامَةَ، فقال معاويةُ: الجَلِيَّةُ عندي، حَضَرْتُ رسولَ الله ﷺ وقد أقْطَعَ هذه الضَّيْعةَ أسامةَ، فانْصَرَف الهاشِمِيُّون، وقد قُضِيَ لهم، فقال الأُمَوِيُّون لمعاويةَ: هلاَّ إذْ كانتْ هذه القضيةُ عندَك بدأتَ بها قبل التَّحَزُّبِ، أو أخَّرْتَها عن هذا المجلس؟ فتَكَلَّمَ بكلامٍ يدفعُه بعضُ الناس[4].

***

(١) في س وف وهـ: عندك؟

(٢) في ج: أنت دافع مغرم يريد أن ولائي ليس بموضع. وكتب فوقه بين الأسطر: إن لم أفضله. وفي هـ: دافع مغرم قال يريد أن ولائي عندك ليس الخ.

(٣) في ج: بينهما.

(٤) بعده في ج: «فقال له عمرو بن عثمان: لا جزاك الله خيراً! والله ما زدتَ على أن أكذبت قولنا وأدحضت حجتنا وأشمتَّ بنا عدونا فقال معاوية: ويحك يا عمرو، إني لما رأيت هؤلاء الفتية من بني هاشم قد اعتزلوا ذكرت أعينهم تَزْوَى تحت المغافر بصفين كاد أن يختلط على عقلي، فانصرف فنحن مخلفون عليك خيراً من حائطك إن شاء الله» اهـ وكتب الناسخ في أول هذه الزيادة «لم» وفي آخرها «إلى» وكتب بالهامش: ليس من هنا إلى العلامة في كتاب أبي العباس.

وكان الذي آعْتَدَّ به الحجَّاجُ بنُ يوسفَ على سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ لمَّا أُتِيَ به إليه بعدَ آنقضاءِ أمرِ آبنِ الأشْعَثِ، وكان سعيدٌ عبداً لرجلٍ من بني أسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ فآشتراه سعيدُ بن العاصِي في مائة عبدٍ فأعتقهم جميعاً، فقال له الحجَّاجُ: يا شَقِيَّ بنَ كُسَيْرٍ! أما قَدِمْتَ الكوفَةَ وليس يَؤُمُّ بها إلَّا عَرَبِيٌّ فجعلتُك إماماً؟ قال: بلى، قال: أفَما وَلَّيْتُكَ القَضاءَ فَضَجَّ أهلُ الكوفةِ وقالوا: لا يَصْلُحُ القضاءُ إلَّا لعربيٍّ، فآستقْضيتُ أبا بُرْدةَ بنَ أبي موسى الأشعريَّ[1] وأمَرْتُه ألَّا يَقْطَعَ أمراً دُونَك؟ قال: بلى، قال: أوَمَا جَعلتُك في سُمَّارِي وكلُّهم من رؤوس العرب؟ قال: بلى، قال: [٢٨٥] أوما أعطيتُك مائةَ ألف درهمٍ تُفَرِّقها[2] في أهل الحاجة[3]، ثم لم أسْأَلْكَ عن شيء منها؟ قال: بَلَى، قال: فما أخْرَجَكَ عليَّ؟ قال: بَيْعةٌ كانتْ لابن الأشْعثِ في عُنُقي، فَغَضِبَ[4] الحَجَّاجُ، ثم قال: أفَما كانتْ بيعةُ أميرِ المؤمنين عبدِالملكِ في عُنُقِكَ قَبْلُ؟ والله لأَقْتُلَنَّكَ، يَا حَرَسِيُّ، اضْرِبْ[5] عُنُقَه. ونظر الحَجَّاجُ فإذا جُلُّ مَنْ خرجَ مع عبدالرحمن من الفقهاءِ وغيرهم من الموالِي، فأَحَبَّ أن يُزيلَهم عن موضع الفصاحةِ والآدابِ، ويَخْلِطَهُمْ بأهل القُرَى والأنْباطِ، فقال: إنما الموالي عُلُوجٌ، وإنما أُتِيَ بهم من القُرَى، فقُراهُم أولَى بهم، فأمر بتَسْيِيرِهم من الأمصار وإقْرَارِ العرب بها، وأمر أن[6] يُنْقَشَ على يَدِ كلِّ إنسانٍ منهمُ اسْمُ [٢/١٢٣] قريَتِه، وطالتْ وِلايتُه، فَتَوالَدَ القومُ هناك، فَخَبُثَتْ لُغاتُ أولادِهم، وفسدتْ طَبائِعُهم، فلمّا قام سليمانُ بنُ عبدالملك أخرجَ مَنْ كان في سجن الحجَّاج من المظلومين، فيقالُ إنه

---

(١) ليس في الأصل وف وهـ وظ.

(٢) في د وي: لتفرقها.

(٣) زاد في ج: قبلك أول ما رأيتك. وزاد في هـ وهامش الأصل: في أول ما رأيتك.

(٤) في ف وس ود وي: قال فغضب.

(٥) في الأصل: اضربن.

(٦) في أ وب وهـ: بأن.

أخرج في يومٍ واحدٍ ثمانين ألفاً، وردَّ[1] المنقوشين، فَرَجَعوا في صورة الأَنْباط، ففي ذلك يقولُ الراجزُ:

جَـارِيَـةٌ لم تَـدْرِ مـا سَـوْقُ الإِبِـلْ أَخْـرَجَهـا الحجَّـاجُ من كِنٍّ وظِـلّْ
لـو كَـانَ بَـدْرٌ حـاضِـراً وآبنُ حَمَـلْ مـا نُـقِشَـتْ كَفَّـاكِ فـي جِلْدٍ جَـلَلْ

وقال شاعرٌ لأهلِ الكوفة لمَّا استُقْضِيَ عليها نُوحُ بنُ دَرَّاجٍ[2]:

يـا أَيُّهـا النـاسُ قـد قـامَتْ قيـامَتُكُمْ إِذْ صَـارَ قـاضِيَكُـمْ نـوحُ بنُ دَرَّاجِ
لـو كَان حَيًّا له الحجَّـاجُ ما سَلِمَتْ كَفَّـاهُ نـاجِيـةً مـن نَقْشِ حَـجَّـاجِ

ويُرْوَى عن حَسَّانَ المعروفِ بالنَّبَطِيِّ، صاحبِ مَنارة حَسَّانَ في البَطِيحَةِ[3]، قال: أُرِيتُ[4] الحجَّاجَ فيما يرى النائم، فقلتُ: أصلح اللَّهُ الأميرَ، ما صَنَعَ اللَّهُ بكَ؟ فقال: يا نبطيُّ! أهذا عليك؟! قال: فَرَأَيْتُنا لا نُفْلِتُ مِن نَقْشِهِ في الحياةِ، ومِنْ شَتْمِهِ[5] بَعدَ الوفاةِ!!.

ويُروى عن حسَّانَ أنه قَصَّ هذه الرؤيا على محمدِ بنِ[6] سِيرِينَ، فقال له ابنُ سيرين: لقد رأيتَ الحجَّاجَ بالصِّحة.

***

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ من ناحية الزُّبَيْرِيِّينَ أن الجَحَّافَ بنَ حَكِيم دخل على عبدالملك والأَخْطَلُ عنده، فلما بَصُرَ به الأخطلُ قال[7]: [٢٨٦]

(١) في ج وهـ: وأمر بردّ.

(٢) بعده في زيادات: «ينسب للفرزدق». وقال الشيخ المرصفي: «هذا خطأ فإن الفرزدق مات سنة ١١٠ هـ ومات نوح بن دراج وهو قاض بالجانب الشرقي ببغداد سنة ١٨٢ هـ» رغبة الآمل ٥/١٠.

(٣) بفتح الباء وكسر الطاء، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. انظر معجم البلدان ٢/٤٥٠.

(٤) في س وف وهـ: رأيت.

(٥) في الأصل وهـ: قال فشتمني ثم قال. وفي ج: ما فعل بك ربّك فشتمني فقال.

(٦) في الأصل وف وهـ: على ابن سيرين.

(٧) ديوانه ق ١/٨١ جـ ٢/٥٢٨. والرواية: ألا سائل الجحاف.

أَلاَ أَبْلِغِ الجَحَّافَ هل هُوَ ثائِرٌ بقَتْلَى أُصِيبَتْ من سُلَيْمٍ وعامِرِ

فقال الجَحَّافُ[1]:

بَلَى سَوْفَ نَبْكِيهِمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ وَنَبْكِي عُمَيراً بالرِّماحِ الخَوَاطِرِ

ثم قال: يابْنَ النَّصرانيَّة! ما ظَنَنْتُكَ تَجْتَرِىءُ عليَّ بمِثْلِ هذا ولو كُنْتُ مأسوراً لك؟! فَحُمَّ الأخطلُ خوفاً، فقال له عبدُ الملك: أنا جَارُكَ منه، فقال: يا أميرَ المؤمنين! هَبْكَ أَجَرْتَنِي منه في اليَقَظَةِ، فَمَنْ يُجِيرُني منه في النَّوم؟! ومِن هذا أو نحوِه[2] أَخَذَ السُّلَميُّ قولَهُ: [قال أبو الحسن: هو أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ يقوله للرشيد]:

وعلى عَدُوِّكَ يابْنَ عَمِّ محمدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبحِ والإظْلامُ[3] [١/١٢٤]

فإذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ، وإذا هَدَا سَلَّتْ عليه سُيوفَكَ الأَحْلامُ

***

وكان العُدَيْلُ بنُ الفَرْخِ العِجْلِيُّ[4] هارِباً منَ الحجَّاج، فجعلَ لا يَحُلُّ بِبَلْدَةٍ إلاَّ رِيعَ لأَثَرٍ يراهُ من آثارِ الحجّاج فَيَهْرُبُ[5]، حتى أَبْعَدَ، ففي ذلك يقول العُدَيْلُ[6]:

---

(١) انظر خبر الجحّاف وقصة يوم البشر في الأغاني ١٢/١٩٨ - ٢٠٨.

(٢) في الأصل ودوي وف وج: ونحوه.

(٣) البيتان في أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق للصولي ٧٦.

(٤) بهامش الأصل ما نصه: «العديل بالعين والدال غير معجمتين، واسم أبيه الفرخ بالخاء المعجمة، وهكذا قرىء على الجرجاني بالخاء المعجمة. وتمام الشعر:

مَهَامِهُ أَشْبَاهٌ كأنَّ سَرَابَها ملاءٌ بأيدي الغاسلات رَحِيضُ» اهـ

وانظر الشعر والشعراء ٤١٣، والأغاني ٢٢/٣٢٧.

(٥) في الأصل وف: فهرب.

(٦) شعره - شعراء أمويون ١/٣٠١ ق ١٤/٧، ٩، والبيان والتبيين ١/٣٩١، والأغاني ٢٢/٣٢٩، والثاني في الشعر والشعراء ٤١٣.

يُخَشُّونَنِي الحجَّاجَ حَتَّى كأَنَّما يُحَرِّكُ عَظْمٌ في الفُؤَادِ مَهِيضُ
ودُونَ يَدِ الحجَّاجِ من أَنْ تَنَالَني بَسَاطٌ لأَيْدِي اليَعْمَلاَتِ عَرِيضُ[1]

فلم يَنْشَبْ أن أُتِيَ به الحجَّاجُ، ففي ذلك يقولُ العُدَيْلُ[2]:

فلو كُنْتُ في سَلْمَى أجاً وشِعابِها لكانَ لِحَجَّاجٍ عليَّ دَلِيلُ
بَنَى قُبَّةَ الإسلامِ حتَّى كأنما أَتَى الناسَ من بَعْدِ الضَّلالِ رسولُ

«أجاً وسَلْمَى»: جَبَلاَ طَيِّءٍ[3]. و«أَجَأٌ» مهموزٌ - وإنما هو «أجاً» مقصورٌ، فاعلم[4] - قال زَيدُ الخَيْلِ:

جَلَبْنَا الخيلَ مِنْ أَجَإٍ وسَلْمَى تَخُبُّ نَزَائِعاً خَبَبَ الذِّئابِ[5]

والشاعرُ إذا احتاجَ إلى قلب الهمزة قَلَبَها[6] [7] إن كَانتِ الهمزةُ مكسورةً جَعَلَها ياءً، أو ساكنةً جَعَلَها على حركةِ ما قَبْلَها، وإن كانتْ مفتوحةً وقَبْلها فتحةٌ جعلها أَلِفاً، وإن كانت مفتوحةً وقبلَها كسرةٌ جعلها ياءً، وإن كانت قبلَها ضمةٌ جعلها واواً [7]، قال الفرزدق[8]:

---

(١) البساط بفتح الباء الأرض العريضة الواسعة. وفي الأصل: لأيدي الناعجات، وهي رواية، ويهامشه كما في المتن.

(٢) شعره - شعراء أمويون ١/٣٠٤ ق ١/١٩، ٢، والبيان والتبيين ١/٣٩١، والشعر والشعراء ٤١٤، والأغاني ٢٢/٣٣٠.

(٣) في ج: جبلان لطيىء.

(٤) قوله «وإنما.. فاعلم» ليس في الأصل. وفي ف: وأجا مهموزاً إنما هو أجا مقصوراً فاعلم. وفي ج: وإنما هي أجا وسلمى فاعلم. وفي ظ: إنما هي أجاً فاعلم.
ورسم أجا في هذا الموضع في ر بالهمز والصواب أجاً مقصور غير مهموز كما في ج وكما جاء في شعر العديل، وانظر كلام المبرد الآتي.

(٥) سيأتي البيت مع آخر ص ٩٩١، وهما من أبيات في الحماسة الشجرية ٧٢ - ٧٣.

(٦) في الأصل وهـ: إلى قلب الهمز قلبه. وفي ف: الهمز.

(٧ - ٧) في ج: إذا كانت الهمزة مكسورة أو ساكنة قبلها كسرة جعلها ياء، وإن كانت مفتوحة أو ساكنة قبلها فتحة جعلها ألفاً وكذلك تكون في المضموم واواً وقال الفرزدق».

(٨) ديوانه ١/٤٠٨، والكتاب ٢/١٧٠، والمقتضب ١/١٦٧.

[٢٨٧] رَاحَتْ بمَسْلمةَ البغَالُ عَشِيَّةً فَارْعَيْ فَزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

وقال حَسَّانُ بنُ ثابتٍ[١]:

سَالَتْ هُذَيلٌ رَسُولَ اللَّهِ فاحشةً ضَلَّتْ هُذَيلٌ بما سَالَتْ ولم تُصِب

وقال عبدُ الرحمن بنُ حسَّانَ[٢]:

وكنتَ أَذَلَّ من وَتِدٍ بِقَاعٍ يُشَجَّجُ رأسَهُ بالفِهْرِ واجِي

أما[٣] قولُ الفرزدق فإنَّه يقولُ لمَّا عُزِلَ مَسْلَمةُ بنُ عبدالمَلكِ عن العِراق بعد قَتْله يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ لحاجةِ الخليفةِ[٤] إلى قُرْبه، وَوَلِيَ عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ فقال[٥]:

راحَتْ بمَسْلَمَةَ البِغَالُ عَشِيَّةً فَارْعَيْ فَزَارَةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ
ولقد عَلِمْتُ إذا فَزَارَةُ أُمِّرَتْ أنْ سوفَ تَطْمَعُ في الإمارةِ أَشْجَعُ
فأَرَى الأُمورَ تَنَكَّرَتْ أَعْلامُها حتى أُمَيَّةُ عن فَزَارةَ تُنْزَعُ
عُزِلَ ابنُ عَمْرٍو وابنُ بِشْرٍ قَبْلَهُ وأَخُو هَراةَ لِمِثْلِها يَتَوَقَّعُ[٦]

ففي جواب هذا يقول الأَسَدِيُّ[٧] لمَّا وَلِيَ خالدُ بنُ عبد الله القَسْرِيُّ: [٢/١٢٤]

بَكَتِ المَنَابرُ مِنْ فَزَارَةَ شَجْوَها فالآنَ مِنْ قَسْرٍ تَضِجُّ وتَخْشَعُ
وملوكُ خِنْدِفَ أَسْلَمُونَا لِلْعِدَى لله دَرُّ مُلوكِنَا مَا تَصْنَعُ[٨]

---

(١) ديوانه - إضافات ٣٧٣، والكتاب ٢/١٣٠، ١٧٠، والمقتضب ١/١٦٧. وهو من أبيات في السيرة النبوية ٣/١٨٩، وانظر شرح شواهد شرح الشافية ٣٣٩ - ٣٤١

(٢) الكتاب ٢/١٧٠ والمقتضب ١/١٦٦، وشرح شواهد شرح الشافية ٣٤١ - ٣٤٥

(٣) في روج: وأما.

(٤) بهامش ي ما نصه: يريد يزيد بن عبد الملك.

(٥) ديوانه ١/٤٠٨ باختلاف في الرواية. وستأتي ٩٨٤.

(٦) بعده في زيادات روتَنْزِعُ رواية عاصم. فمن روى تُنْزَعُ بضم التاء يعني تُعْزَل، ومن روى بفتح التاء وكسر الزاي فهو من النزع في القوس وهو الرمي، يشير إلى أنها محتاجة إلى رأيها وأنها ترمي عن قوسها.

(٧) هو إسماعيل بن عمار الأسدي، انظر الأغاني ١١/٣٧٩ وسيأتي البيتان مع أبيات، ص ٩٨٤ - ٩٨٥.

(٨) بعده في زيادات ر من هامش ي:

=

وأما قولُ حسانَ: سالَتْ هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً

فلَيس من لغته «سِلْتُ أَسَال» مثلُ: «خفْتُ أخافُ» و«هُمَا يَتَسَاوَلَانِ»، هذا من لُغةِ غيرِه، وكانت هُذَيلٌ سألتْ رسول الله ﷺ أن يُحِلَّ لها الزِّنَا.

ويُرْوَى أنَّ أسَدِيًّا وهُذَلِيًّا تَفَاخَرَا، فرَضِيَا برجلٍ، فقال: إنِّي ما أقْضِي[1] بينكما إلَّا أنْ تَجعلا لِي عَقْداً وَثِيقاً أَلَّا تَضْرِبَا ولا تَشْتِما؛ فإنِّي لستُ في بلادِ قَومِي، ففَعلاَ، فقال: يا أخا بَنِي أسدٍ، كيفَ تُفاخِرُ العربَ وأنتَ تعلمُ أنه ليس حَيٌّ [٢٨٨] أحَبَّ إلى الجيشِ ولا أبْغَضَ إلى الضَّيف ولا أقَلَّ تحتَ الراياتِ منكم؟! وأمّا أنتَ يا أخَا هُذَيْلٍ! فكيفَ تُكلِّمُ الناسَ وفيكم خِلالٌ ثلاثٌ: كان منكم دَليلُ الحَبَشَةِ على الكَعْبةِ، ومنكم خَوْلةُ ذاتُ النِّحْيَينِ، وسألتُم رسولَ الله ﷺ أن يُحِلَّ لكم الزِّنا؟! ولكنْ إذا أرَدْتُمَا بَيْتَيْ مُضَرَ، فعليكُمَا بهذين الحَيَّيْنِ من تَميم وقَيْس، قُومَا في غيرِ حفظِ الله.

وأمّا بيتُ عبدِ الرحمن بنِ حسَّانَ فإنه يقولُه لعبدالرحمن بن الحَكَمِ بن أبي العاصِي، وكان يُهاجِيهِ، فقال له في كَلِمَتِهِ[2]:

وأمّـا قَـوْلُـكَ الـخُـلَفـاءُ مِـنَّـا فَهُمْ مَنَعُـوا وَرِيـدَكَ من وِدَاجِ[3]
ولـولاهُمْ لَكُـنْتَ كَـحُـوتِ بَحْـرٍ هَـوَى في مُظْلِمِ الغَمَـرَاتِ دَاجِي

- كـانـوا كـتـاركـة بـنـيـهـا جـانـبـاً سـفـهـاً وغـيـرهـم تـصـون وتـرضـع

وفي هـ:

كانت ..... جـهـلاً وغـيـرهـم تـبـر وتـرضـع

(١) في الأصل و ج: لا أقضي.

(٢) سلفت الأبيات ص ٣٤١، وانظر شرح شواهد شرح الشافية ٣٤٣، وحاشية البغدادي على شرح بانت سعاد ٤٧٥.

(٣) في الأصل و ج «وداجي» ومعناه: قطعي كما في هامش ج. وقال البغدادي «وقوله: وداجي كذا جاء بالإضافة إلى الياء». وقد سلف ٣٤١ «وداج» بغير الإضافة كما في المتن من سائر النسخ.

وكُـنْـتَ أذَلَّ مِـنْ وَتِـدٍ بِقَـاعٍ يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بالفِهْـرِوَاجِي[1]

***

وكان أَحَدَ مَنْ هربَ من الحجاجِ سَوَّارُ بنُ المُضَرَّبِ[2] ففي ذلك يقولُ[3]:

أقَـاتِـلِيَ الحَـجَّـاجُ إنْ لـم أزُرْ لَـهُ دَرَابَ[4] وأتْـرُكْ عنـدَ هِنْـدٍ فُؤَادِيَـا
فـإنْ كَـان لا يُـرْضِيـكَ حَتَّى تَـرُدَّنِي إلى قَـطَرِيٍّ مَـا إخَـالُـكَ[5] راضِيَـا
إذا جَـاوَزَتْ دَرْبَ المُجيـزِينَ نَـاقَتِي فَيـَاْسْتِ أبي الحجَّـاج لَمَّـا ثَنَـانِيَـا
أيَـرْجُو[6] بنـو مَرْوَانَ سَمْعِي وطَـاعَتِي وقَـوْمِـي تَمِـيمٌ والـفَـلاةُ وَرَائِيَـا[7]

«ورائي»[8] ها هنا في معنى: أمامي، قال الله عزّ وجل: ﴿ وإنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾[9] وقال جل ثناؤه: ﴿ وكان وراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾[10].

***

وممَّن هرَبَ من الحجَّاجِ محمدُ بنُ [١/١٢٥] عبدِالله بنِ نُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ، وكان

---

(١) رسم في الأصل وهامش ي «واج» و«داج» بلا ياء.

(٢) بعده في زيادات ر: «بفتح الراء». وانظر الإكمال ٢٥٨/٧.

(٣) الأبيات في النوادر ٤٥، والحماسة الشجرية ٢٠٨. وسيأتي الأول ص ١٣٠٣.

(٤) ضبط في الأصل: دراب بكسر الدال وهي رواية أبي حاتم. انظر حماسة ابن الشجري. يريد درا بجرد وهي بلد من فارس.

(٥) في الأصل: لا إخالك.

(٦) في الأصل وهـ: أترجو.

(٧) بعده في زيادات ر: «فاعل يرضيك مضمر أو مَنْويّ تقديره فإن كان لا يرضيك الإرْضاء، ولا يجوز أن يكون ما بعد يرضيك الفاعل لأن سيبويه رحمه الله قال: الفاعل لا يكون جملة، وحتى تردّني جملة. قاله ابن الأبرش».

(٨) في ر: ووراثي.

(٩) سورة مريم: ٥.

(١٠) سورة الكهف: ٧٩.

قال علي بن حمزة في التنبيهات ١٣٨ ـ ١٣٩: «الوراء الأمام والخلف صحيح إلا أنه غلط باستشهاده بالآية الأولى، وإنما معنى قوله ﴿ وإني خفت الموالي من ورائي ﴾ أي من بعدي هكذا قال المفسرون ولا معنى لأمامي والله أعلم..». وانظر تفسير غريب القرآن ٢٧٢، وتفسير ابن كثير ٢٠٧/٥، وتفسير القرطبي ٧٩/١١.

يُشَبِّبُ بزينبَ بِنْتِ يوسفَ أختِ الحجاج، وهو القائلُ فيها[1]:

تَضَـوَّعَ مِسْكاً بـطنُ نَعْمَـانَ أنْ مَشَتْ بِـهِ زَيْنَبٌ فـي نِسْـوَةٍ عَـطِراتِ[2] [٢٨٩]

يُخَبِّئْنَ أطْـرافَ البَنَـانِ من الـتُّقَى ويَخْرُجْنَ شَـطْرَ الليـلِ[3] مُعْتَجِـراتِ

في كلمةٍ[4] له؛ فلمّا أُتِيَ به الحجاجُ قال[5]:

هـاكَ يَدِي ضـاقَتْ بِيَ الأرضُ رُحْبُها وإنْ كُنتُ قـد طَـوَّفْتُ كـلَّ مَكـانِ

فلو كنتُ بـالعَنْقـاءِ أو بِـأُسُـومِهَـا لَـخِلْتُـك إلاّ أنْ تَـصُـدَّ تَـرَانِي[6]

ثمَّ قال: والله أيُّها الأميرُ، إنْ قلتُ إلاّ خيراً، إنما قلتُ:

يُخَبِّئْنَ أطْـرَافَ البَنَـانِ مِنَ الـتُّقَى ويخـرجن شـطرَ اللَّيْـلِ مُعْتَجِـراتِ[7]

فعفَا عنه، ثم قَال له: أخبرني عن قولك[8]:

ولَمَّـا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْـرِيِّ أعْـرَضَتْ وكُـنَّ مِـنَ أنْ يَـلْقَيْـنَـهُ حَـذِرَاتِ[8]

ما كُنْتُم؟ قال: كنتُ على حمارٍ هَزيلٍ، ومعي صاحبٌ لي على أتانٍ مثلِه.

***

---

(١) شعره ـ شعراء أمويون ٣/١٢٣ ـ ١٢٤ ق ١/٣، ٧، والأغاني ٦/١٩٢ ـ ١٩٣. وسيأتيان في أبيات ص ٧٧٠ ـ ٧٧١، وسيأتي الأول وحده ص ١٠٩٣، والثاني وحده ص ٧٤٣.

(٢) في الأصل و ج: «في نسوة خفرات» وبهامشيها: عطرات.

(٣) في ب: وسط الليل، وفي ج: جنح الليل.

(٤) في الأصل و هـ: هذا شعر في كلمة له.

(٥) شعره ـ شعراء أمويون ٣/١٣٤ ق ١٨ وحدهما. وهما في الأغاني ٦/١٩٩ باختلاف في الرواية. وسيأتيان ص ٧٤٣. ونسبهما صاحب الأغاني ٢٢/٣٤١ للعديل بن الفرخ.

(٦) بعده في زيادات ر: «من رفع رحبها فعل البدل ومن نصب فعل الظرف. قاله ش. وأسومها بفتح الهمزة وبالضم والفتح أحسن ش». قوله وبالضم كذا، وسيأتي البيت ٧٤٣ وروايته ثمة «بِيُسُومها». ويسوم جبل قرب مكة وقيل في بلاد هذيل، انظر معجم البلدان ٥/٤٣٧، وأسماء جبال تهامة (نوادر المخطوطات ٢/٤١٦ ـ ٤١٧). ولم أجد من نصّ على أنه يقال في يسوم أسوم، ووجهه بيّن.

(٧) البيت ٧ من كلمته ورواية عجزه فيها:

ويقتلن بالألحاظ مقتدرات

وفي ج: جنح الليل، وفي ب: نصف الليل، وفي أ و د ومتن ي: ويخرجن بالأسحار.

(٨) البيت ١٤ من كلمته، وسيأتي ٧٤٣، وفي أبيات ٧٧٠ ـ ٧٧١.

وممَّن هَرَبَ منه مالكُ بنُ الرَّيْبِ المازنيُّ، أحَدُ بني مَازِنِ بنِ مالكِ بنِ عَمْرِو بنِ تميمٍ، وفي ذلك يقول[1]:

إنْ تُنْصِفُونَا يَالَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إليكم وإلاَّ فَأْذَنُوا بِبِعادِ
فَإنَّ لَنَا عنكم مَزَاحاً ومَزْحلاً ... بِعِيسٍ إلى رِيحِ الفَلاَة صَوَادِي[2]
فَفِي الأرضِ عن دارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ ... وكلُّ بلادٍ أُوطِنَتْ كَبِلاَدِي[3]
فماذا تُرَى الحَجَّاجَ يَبْلُغُ جُهْدُهُ ... إذا نَحْنُ جَاوَزْنَا حَفِيرَ زِيَادِ
فلولاَ بَنُو مَرْوَانَ كان ابْنُ يُوسفٍ ... كما كانَ عبداً من عَبِيدِ إيَادِ[4]
زَمانَ هُوَ العَبْدُ المُقِرُّ بِذِلَّةٍ ... يُرَاوِحُ صِبْيَانَ القُرَى ويُغَادِي

قال ذلك لأنَّ الحجاجَ كان هو وأخوه مُعَلِّمَيْنِ بالطائف، وكان لَقَبُهُ كُلَيْباً، وفي ذلك يقولُ القائل:

[٢٩٠] أيَنْسَى كُلَيْبٌ زمانَ الهُزالِ ... وتَعْلِيمَهُ صِبْيَةً[5] الكَوْثَرِ
رَغِيفٌ لَه فَلْكَةٌ ما تُرَى ... وآخَرُ كالقَمَرِ الأزْهَرِ

---

(١) شعره ـ الشعر المنسوب إليه ـ شعراء أمويون ١/٥١ ـ ٥٢ ق ١/١ ـ ٤، ٦، ٧. وشك جامع شعره في نسبتها إليه لأن مالكاً مات قبل أن يتولى الحجاج بأكثر من ١٨ عاماً.
والأبيات ١ ـ ٤ للفرزدق في ديوانه ١/١٦٠، وديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٢/٦٧٦ والتبريزي ٢/١٠٩. ونسب ياقوت الأبيات الستة لبرج بن خنزير التميمي، انظر معجم البلدان (حفير) ٢/٢٧٧، ونسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٣٥٤ لمالك بن الريب وانظر رغبة الآمل ٥/٢٥ ـ ٢٦.

(٢) في ر: «ومرحلاً» مصحفاً. ورسم في الأصل «صواد».
وبهامش هـ ما نصه: «المزاح المذهب يقال زاح يزيح إذا ذهب. والمزحل المتنحى، ومنه قيل للكوكب زُحَل كأنه لعلوه وبعده عن الكواكب زحل عنها أي تنحى».

(٣) بعده في زيادات ر: «كذا وقعت الرواية بضم الهمزة وكسر الطاء، والأصحّ أُوْطَنَت بفتح الهمزة وفتح الطاء. قاله ش» ورسم في ج و ف: «كبلاد».

(٤) وقع ههنا خرم عظيم في ب، ينتهي ص ٧٥٨.

(٥) كذا في ج وهامش ي، وهو الصواب. وكوثر اسم قرية كما في هامش ج وانظر معجم البلدان (كوثر) ٤/٤٨٧ واستشهد بهذا البيت. وفي سائر النسخ وهامش ج: «سورة الكوثر»؟.
وكذا في ثمار القلوب ٢٤٣، وسرح العيون.

يقول: خُبْزُ المُعَلِّمِينَ يأتي مختلفاً[1]، لأنه من بيوتِ صِبيانٍ مختلِفي [٢/١٢٥] الأحوال.

وأنْشَد[2] أبو عثمانَ عمرُو بنُ بَحْرٍ الجاحظُ:

أَمَا رَأَيْتَ بني بَحْرٍ وقد حَفَلُوا ... كَأَنَّهُمْ خُبْزُ بَقَّالٍ وكُتَّابِ
هذا طويلٌ وهذا حَنْبَلٌ جَحِدٌ[3] ... يَمْشُونَ خَلْفَ عُمَيْرٍ صاحبِ البابِ

وفي لَقَبِه يقولُ آخرُ من أهل الطائف:

كُلَيْبٌ تَمَكَّنَ في أَرْضِكم ... وقد كان فينا صَغِيرَ الخَطَرْ

***

ولما دخل الحجاجُ مكةَ آعتذَر إلى أهلها لقِلَّة ما وَصَلَهم به، فقال قائلٌ منهم: إذَنْ واللهِ لا نَعْذِرك وأنتَ أميرُ العِراقَيْنِ وآبنُ عَظيمِ القَرْيَتَيْنِ. وذلك أنَّ عُرْوةَ ابنَ مسعود وَلَدَهُ مِنْ قِبَلِ أُمِّهِ. وتأويلُ قولِ الله عزّ وجلّ: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[4] مجازُهُ في العربية: على رجل من رجلين من القريتين عظيمٍ، والقريتانِ: مكةُ والطائفُ، والرجلان: عُرْوَةُ بنُ مسعود، والآخرُ الوَليدُ بنُ المُغيرةِ بنِ عبدالله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزوم.

ويُرْوَى أنَّ أبا بكر الصدّيقَ ـ رحمه الله ـ مَرَّ بقبره ومعه خالدٌ، فقال: أَصْبَحَ جَمْرَةً في النار، فأجابه خالد في ذلك بجواب غيرِ مَرْضِيٍّ.

وأما عُرْوةُ بنُ مَسْعُود فإنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَه إلى الطائف يدعوهم إلى

---

(١) في ج: خبز المعلم يأتي مختلفاً ألوانه.

(٢) في ف: وأنشدنا، وفي هـ: وأنشدني.

(٣) الحنبل: القصير الضخم البطن. والجحد بكسر الحاء وصف من جحد عيشه: ضاق واشتد. عن رغبة الآمل ٥/٢٩.

(٤) سورة الزخرف: ٣١.

الإسلام، فَرَقِيَ سطحَهُ[1]، فرماه رجلٌ بسهم فقتله، فلما وَجَّهَ رسولُ الله ﷺ العبَّاسَ بن عبدالمُطَّلِب ـ رحمه الله ـ إلى أهل مكة أبْطأَ عليه، فقال: «رُدُّوا عليَّ أبي، أمَا لَئِنْ فَعَلَتْ به قُرَيْشٌ ما فَعَلَتْ ثَقيفُ بعُرْوَةَ بنِ مسعودٍ لأضْرِمَنَّها عليهم ناراً»[2].

يقال: «رَقِيتُ» السطحَ، وما كان مثلَهُ، «أرقاه»، مثلُ «خَشِيتُهُ أَخْشاهُ» كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَوْ تَرْقَى في السَّماءِ ﴾[3]، ويقال: «رَقَيْتُ اللَّدِيغَ أَرْقِيه» مثلُ «رَمَيْتُه أَرْمِيه». ويقال: «ما رَقَأَتْ عينُه من الدمع» مهموزٌ «تَرْقَأُ» يا فتى، مثلُ «قَرَأْتَ تَقْرَأُ» يا فتى.

***

[٢٩١] وكان الحجاجُ[4] رأى في منامه أنَّ عَيْنَيْه قُلِعَتَا فَطَلَّقَ الْهِنْدَيْنِ: هندَ بنتَ المُهَلَّبِ، وهند بنتَ أسماءِ[5] بْنِ خَارِجَة، فلم يَلْبَثْ أَنْ جاءه نَعِيُّ أخيه من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنُه محمدٌ، فقال: هذا والله تأويلُ رؤيايَ، ثم قال: إنّا لله وإنَّا إليه راجعون، مُحَمَّدٌ [١/١٢٦] ومُحَمَّدٌ في يوم واحدٍ.

حَسْبي بقَاءُ اللَّهِ من كلِّ مَيِّتٍ ... وحَسْبِي رَجاءُ الله مِن كلِّ هالِكِ[6]
إذا كان ربُّ العَرْشِ عَنِّيَ رَاضِياً ... فإنَّ شِفاءَ النَّفْسِ فيما هُنَالِكِ[7]

وقال: مَنْ يقول شعراً يُسَلِّيني به؟ فقال الفرزدقُ[8]:

---

(١) في هـ و س و د ومتن ي: سطحاً. وزاد في ج و هـ: «ودعاهم».
(٢) انظر حجاز القرآن ١/٥٧، وهو بنحوه في تهذيب تاريخ دمشق ٧/٢٣٦.
(٣) سورة الإسراء: ٩٣.
(٤) الخبر في التعازي والمراثي ١٩٩ ـ ٢٠١.
(٥) كذا في الأصل وج و ي و د. وفي سائر النسخ: هنداً بنت.. وهنداً بنت أسماء.
(٦) البيتان في التعازي والمراثي ٢٠٠ ـ ٢٠١ باختلاف في الرواية.
(٧) بعده في زيادات ر: «ويروى فإن سرور النفس».
(٨) ديوانه ١/١٦١، والتعازي والمراثي ٢٠٣.

إنَّ الـرَّزِيَّـةَ لا رَزِيَّـةَ مِـثْـلُهـا فُقْـدَانُ مِثْـلِ مُحَمَّـدٍ ومُـحَمَّـدِ
مَلِكَـانِ قـد خَلَتِ المَنَـابِرُ منهمـا أَخَـذَ الحِمَـامُ عليهمـا بـالمَرْصَـدِ

فقال: لو زِدْتَني! فقال الفرزدقُ[1]:

إنِّي لَبَـاكٍ عَلَى ٱبْنَيْ يُـوسُفٍ جَـزَعـاً ومِـثْـلُ فَقْـدِهِـمَـا لِلدِّيـنِ يُبْكِيـنِـي
مَـا سَـدَّ حَيٌّ ولا مَيْتٌ مَسَـدَّهُمَـا إلا الـخـلائفُ مِـنْ بَعْـدِ الـنَّبِـيِّـيـنِ

فقال له: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، إنما زِدْتَ في حُزْني، فقال[2]:

لَئِنْ جَـزِعَ الحَجَّـاجُ مَـا مِنْ مُصِيبَـةٍ تَكـونُ لمَـحْـزُونٍ أَجَـلَّ وأَوْجَـعَـا
مِنَ المُصْطَفَى والمُصْطَفَى من خِيارِهِمْ جَنَـاحَيْـهِ لَـمَّـا فـارقَـاهُ فَـوَدَّعَـا
أَخٌ كَـان أَغْنَى أَيْـمَنَ الأرضِ كُـلَّهُ وأَغْنَى ٱبْنُـهُ أَهلَ[3] العـراقَيْنِ أَجْمَعَـا
جَنَـاحَا عُقَـابٍ فَـارقَـاهُ كِـلاهُمَـا ولَـو نُـزِعَـا مِن غيـره لَتَضَعْضَـعَـا

فقال: الآنَ.

أَمّا قولُهُ إلا الخلائفَ من بعد النبيينِ

فخَفَضَ هذه النونَ، وهي نونُ الجمع، وإنَّما فَعَل ذلك لأنه جَعَلَ الإعْرابَ فيها لا فيما قبلَها، وجعلَ هَذا الجَمْعَ كسائر الجَمْعِ، نحو «أَفْلُسٍ، ومَسَاجِدَ، وكلاب» فإنَّ إعرابَ هذا كإعرابِ الواحدِ، وإنَّما جازَ ذلك لأنَّ الجَمْعَ يكون على أَبْنِيَةِ شَتَّى، وإنما يُلْحَقُ منه بِمِنْهَاجِ التثنيةِ ما كان على حَدِّ التَّثْنِيَةِ لا يُكَسَّرُ الواحدُ عن بِنائِهِ، وإلاَّ فَلاَ[4]؛ فإنَّ الجَمْعَ كالواحدِ لاختلاف معانيه كما تختلفُ معاني [٢٩٢]
الواحدِ، والتثنيةُ ليستْ كذلك، لأنها ضَرْبٌ واحدٌ، لا يكونُ[5] اثنانِ أكثرَ من اثنين

(١) التعازي والمراثي ٢٠٣، وليسا في ديوانه.
(٢) ديوانه ١/٣٩٧، والتعازي والمراثي ٢٠١. وفي ر و ف: فقال الفرزدق.
(٣) في الأصل و ج: أمر. وبهامشيهما: أهل.
(٤) «فلا» من ج و أ.
(٥) في ر وف وهـ: ولا يكون.

عدداً كما يكون الجمعُ أكثرَ من الجمع. فمِمَّا جاء على هذا المذهب قولُهم: هذه سِنِينَ فاعْلَمْ، وهذه عِشْرِينَ فاعلم، قال العَدْوانِيُّ[1]:

إنِّـي أَبِـيُّ أَبِـيُّ ذو مُـحـافَـظَةٍ ... وابـنُ أَبِـيَّ أَبِـيٍّ مـن أَبِـيِّـيـنِ
وأَنْتُمُ مَعْشَـرٌ زَيْـدٌ عَـلَى مِـائَـةٍ ... فأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ[2] طُرّاً فَكِيدُونِي [٢/١٢٦]

وقال سُحَيْمُ بنُ وَثِيلٍ[3]:

ومـاذَا يَـدَّرِي الـشُّعَـراءُ مِـنِّي ... وَقَـدْ جـاوَزْتُ رَأْسَ[4] الأَرْبَعِينِ
أَخُـو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُـدِّي ... ونَـجَّـذَنـي مُـدَاوَرَةُ الـشُّـؤُونِ

وفي كتاب الله عزَّ وجلّ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[5].

فإنْ قال قائلٌ: فإنَّ غِسْلِيناً واحدٌ = فإنَّه كلُّ ما كانَ على بناء الجمع من الواحد فإعرابُه كإعرابِ الجمع، أَلَا تَرَى أنَّ «عِشْرِينَ» ليس لها واحد من لفظها، وإعرابُها كإعرابِ «مُسْلمينَ» واحدُهم مُسلِمٌ، وكذلك جميعُ الإعراب[6] وتقول: «هذه فِلَسْطونَ يا فَتى، ورأيتُ فِلَسْطينَ يا فَتى» هذا القولُ الأَجْوَدُ، وكذلك «يَبْرِينَ» وفي الرفع «يَبْرُونَ يا فتى» وكلُّ ما أَشْبَهَ هذا فهو بمنزلته، تقولُ: «هذه[7] قِنَّسْرُونَ، ورأيت قِنَّسْرِينَ» والأجودُ في هذا البيتِ[8]:

---

(١) وهو ذو الإصبع. المفضليات ق ١١/٣١، ١٢ ص ١٦٠ - ١٦١، وشرحها للأنباري ٣٢٣، والأول من شواهد المقتضب ٣٣٣/٣.

(٢) في ج: أمركم، وهي رواية المفضليات.

(٣) الأصمعيات ق ٦/١ ص ١٩. والأول من شواهد المقتضب ٣٣٢/٣.

(٤) في س و د و هـ وهامش ي: «خَدِّه».

(٥) سورة الحاقة: ٣٦.

(٦) في الأصل و ج و هـ: الأعداد؟.

(٧) من الأصل و ج و هـ.

(٨) بعده في زيادات ر: «هو الأعشى». والبيت في ديوانه ق ٢٠/٢٢ ص ٢٠٩. وروايته: الورد والياسمين.

وشَـاهِـدُنَـا الجُـلُّ واليَـاسِمُـو نَ والمُسْمِعَـاتُ بقُصَّـابِـهَـا[1]

وفي القرآن ما يُصَدِّق ذلك قولُ الله عزَّ وجلّ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتابَ الأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ. وما أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾[2] فمن قال: «هذه قِنَّسْرُونَ وبَبْرُونَ» فَنَسَبَ إلى واحدةٍ منهما رجلاً أو شيئاً قال: «هذا رجلٌ قِنَّسْرِيٌّ وَبَبْرِيٌّ» بِحَذْفِ[3] النون والواو، لمجيءِ حَرْفَيِ النَّسَب، ولو أَثْبَتَهُمَا لكان في الاسم رَفْعَانِ ونَصبانِ وجَرَّان؛ لأنَّ الياءَ مرفوعة[4]، والواوَ علامةُ الرفع؛ ومن قال: «هذه قِنَّسْرِينُ» كما ترى قال في [٢٩٣] النَّسَب: «قِنَّسْرِينِيٌّ» لأنَّ الإعراب في حرف النَّسَب، وانكسرتِ النونُ كما ينكسر كلُّ ما لَحِقهُ النَّسبُ.

وأما قوله ونجِّذَني مُدَاوَرَةُ الشُّؤونِ

فمعناه: فَهِّمني وعَرِّفْنِي كما يقال: حَنَّكَتْـهُ التَّجاربُ. «والنـاجِذُ» آخِـرُ الأضراس، من ذلك قولهم: ضحك حتى بدتْ نَوَاجِذُه. «والشُّؤونُ» جمعُ «شَأْنٍ» مهموزٌ، وهو الأمْرُ.

وقال المفسِّرونَ من أهل الفقه وأهلِ اللغة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿غِسْلِينٍ﴾[5]: هو غُسَالة أهلِ النار[6]، وقال النحويُّون: هو «فِعْلِينٌ» من الغُسَالة.

***

(١) بعده في زيادات ر: «الجلّ: الورد. والقصّاب: الأوتار، وقيل الزّمار».

(٢) سورة المطففين: ١٨ ـ ١٩.

(٣) في ف و ظ و س: «فحذف». وفي ي و د: «بحذف» ولم ينصّوا على ما في ج وهـ ههنا.

(٤) في الأصل و ج: معربة.

(٥) هذا ما أورده المبرد من الآية كما في ج وحدها. وفي سائر النسخ. (ليس لهم طعام إلا من غسلين) والصواب: ﴿ ولا طعامٌ إلا من غسلين ﴾ [سورة الحاقة: ٣٦].

(٦) في الأصل و ف و هـ و ظ: قالوا هو. وانظر تفسير غريب القرآن ٤٨٤، وتفسير ابن كثير ٢٤٣/٨ ـ ٢٤٤، وتفسير القرطبي ٢٧٣/١٨.

ويُرْوَى أنَّ عُمَرَ بنَ عبد العزيز خرج يوماً فقال: الوَليدُ بالشَّأم، والحَجَّاجُ بالعراق، وقُرَّةُ بنُ شَرِيك بمصر، وعثمانُ بن حَيَّانَ [١/١٢٧] بالحجاز، ومحمدُ بنُ يوسفَ باليمن؟ امتلأتِ الأرْضُ واللَّهِ جَوْراً!

وكتب الحجاجُ إلى الوليد بن عبد الملكِ بعدَ وفاةِ محمدِ بن يوسف: أُخْبِرُ أمير المؤمنين ـ أَكْرَمَه اللَّهُ ـ أنه أُصِيبَ لمحمدِ بنِ يوسفَ خمسونَ ومائةُ ألف دينارٍ، فإن يَكُنْ أصابها مِن حِلِّها فرَحِمَهُ الله، وإن تَكُنْ من خيانة فلا رحمه اللَّهُ!! فكَتَبَ إليه الوليدُ: أما بعدُ، فقد قَرَأَ أميرُ المؤمنين كتابَكَ فيما خلَّف محمَّدُ بنُ يوسفَ، وإنما أصاب ذلك المالَ من تجارةٍ أَحْلَلْنَاهَا له، فَتَرَحَّمْ عليه، رحِمَهُ[1] الله!

ويُرْوَى أنَّ يَزيدَ بنَ معاويةَ قال لمعاوية في يوم بُوِيعَ له على عَهْدِهِ، فَجَعَلَ الناس يَمدحونهَ ويُقَرِّظونَهُ: يا أميرَ المؤمنين! واللَّهِ ما نَدْري أَنَخْدَعُ الناسَ أم يَخْدَعُونَنَا؟! فقال له معاويةُ: كلُّ مَنْ أَرَدْتَ خديعتَه فَتَخَادَع لكَ حَتَّى تبلغَ منه حاجتَكَ فقد خَدَعْتَهُ!

ويُرْوَى أنَّ الحجاجَ كَتَبَ إلى عبدِ الملك بنِ مَرْوَانَ: بَلَغَني[2] أنَّ أميرَ المؤمنين عَطَسَ عَطْسَةً فَشَمَّتَهُ قومٌ فقال: يَغْفِرُ الله لنا ولكم؛ فَيَالَيْتَنِي كنتُ معهم فأَفُوزَ فَوزاً عظيماً!![3].

وزَعَمَ الأَصْمَعِيُّ قال: خَرجَ الوليدُ يوماً على الناس، وهو مُشْعَانُ الرَّأسِ، فقال: ماتَ الحجاجُ بنُ يوسفَ، وقُرَّةُ بن شَرِيك، وَجَعَلَ يَتَفَجَّعُ عليهما.

---

(١) في الأصل وج و ف و ظ: رحمك الله. وبهامش الأصل كما في المتن.

(٢) في ر و ف: وبلغني.

(٣) بهامش الأصل ما نصّه: «إنما قال الحجاج ذلك لأن في الأثر أن الإمام العادل مجاب الدعوة فتملقه الحجاج بهذا القول وغالطه في عدالته بما لم يكن عليه».

قوله «مشعَانُّ الرأسِ» يعني مُتَنَفِّشَ[1] الشَّعرِ مُتَفَرِّقَة[2]. ومثلُ هذا لا يكونُ في شِعْرٍ، لأن في هذا التقاءَ ساكنَيْنِ، ولا يَقَعُ مثلُ هذا في وزن الشِّعر، إلا فيما تقدم[3] ذِكْرُهُ في المُتَقارِبِ، وليس ذا على ذلك الوزنِ.

***

وَحُدِّثْتُ أَنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيز رحمه الله وجَّهَ عبدَ الله بنَ عبدِ الأَعْلَى ومعه رجلٌ من عَنْسٍ إلى أَلْيُونَ، فقال العَنْسِيُّ: فَخَلَانِي عُمَرُ دونَه، وقال لي: احفظْ كلَّ [٢٩٤] ما يكونُ منه، فلما صِرْنا إليه صِرْنَا إلى رجلٍ عَرَبِيِّ اللسانِ، إنما نَشَأَ بِمَرْعَشَ[4]، فذَهَبَ عبدُ الله ليتَكَلَّمَ، فقلتُ: على رِسْلِكَ، فَحَمِدْتُ اللَّهَ وصليتُ على نَبِيِّه ﷺ، ثم قلتُ: إنِّي وُجِّهْتُ بالذي وُجِّهَ به هذا، وإنَّ أميرَ المؤمنين يدعوكَ إلى الإسلام، فإنْ تَقْبَلْهُ تُصِبْ رُشْدَكَ، وإني لَأَحْسِبُ أنَّ الكتابَ قد سَبَقَ عليك بالشَّقاءِ، إلَّا أنْ يشاءَ اللَّهُ غيرَ ذلك، فإن قَبِلْتَ وإلَّا فاكتبْ جوابَ كِتابِنا، قال: ثمَّ تكلَّمَ عبدُ الله، فحمد الله وصلَّى على نبيه ﷺ، وذَهَبَ في القولِ، وكَانَ [٢/١٢٧] مُفَوَّهاً، فقال له: أَلْيُونُ: يا عبدَ الله! ما تقول في المَسِيح؟ فقال: رُوحُ الله وكَلِمَتُهُ، فقال: أيكونُ ولَدٌ من غَيْرِ فَحْلٍ! فقال عبدُ الله: في هذا نَظَرٌ! فقال: أيُّ نَظَر في هذا؟ إمَّا نَعَمْ وإمَّا لَا! فقال عبدُ الله: آدمُ خَلَقَهُ اللَّهُ من ترابٍ، فقال: إنَّ هذا أَخْرِجَ مِن رَحِمٍ، قال: في هذا نظر! قال له أَلْيُونُ بالرُّومِيَّة: إنِّي أَعْلَمُ أنك لَسْتَ على ديني ولا على دينِ الذي أرسلك ـ قال: وأنا أفهمُ بالرُّومية ـ ثمَّ قال: أَتَعظِّمُونَ يوماً غيرَ يومِ الجمعة؟ فقال: نعم، فقال: وما ذلك اليومُ، أَمِنْ أَعْيَادِكُم هو؟ فقال: لا، قال:

---

(١) في رو ف و ظ: «متنفخ».

(٢) بعده في زيادات ر: «والرواية: مُتَنَفِخ، والصحيح مُتَنَفِش. قاله ابن سراج».

(٣) في الأصل وج: إلا ما قد تقدم. وفي هـ: إلا ما تقدم. وانظر ما سلف ص ٣٩.

(٤) بهامش ي ما نصه: مرعش جزيرة بالشام.

فلِمَ تُعَظِّمُونَه؟ قال: عِيدٌ لقومٍ كانوا صَالحين قبلَ أن يَصِيرَ إليكم، قال: فقال له أُلْيُونُ: قد علمتُ أنَّكَ لستَ على ديني ولا على دين الذي أرسلك؛ بالرومية[1]. فقال له عبدُ الله: أَتَدْرِي ما يقولُ أهلُ السَّفَه؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون: قال إبليسُ: أُمِرْتُ أَلَّا أَسْجُدَ إلَّا لله، ثم قيلَ لي اسْجُد لآدم! قال: فقال له بالرومية: الأَمْرُ فيك أَبْيَنُ من ذلك، قال: ثمَّ كَتَبَ جوابَ كُتُبِنا. قال: فَرَجَعْنا إلى عمرَ بها، قال: فَخَبَّرْنَاهُ بما أَرَدْنا ثم نهضنا، فَرَدَّني إليه من باب الدار فخلَابي، فأخبرتُه، فقال: لَعَنَهُ اللَّهُ! لقد كانت نفسي تأباهُ، ولم أَحْسِبْهُ يَجْترِئُ على مِثل هذا، قال: فلما خرجتُ قال لي عبد الله: ما الذي قال لكَ؟ قال: قلتُ: قال لي: أَتَطْمَعُ فيه؟ قلت: لا.

***

ولمَّا وَجَّهَ عبدُ الملك الشَّعْبِيَّ إلى صاحب الرُّوم فكلَّمه قال له صاحبُ الرُّوم بعدَ انقضاء ما بينهما: أَمِنْ أَهلِ بيت المَمْلكة أنتَ؟ قال: قلتُ: لا، ولكنِّي رجلٌ من العرب. قال: فكتب معي رُقْعةً، وقال[2]: إذا أَدَّيْتَ جوابَ ما جئتَ له فأَدِّ هذه
[٢٩٥] الرُّقعةَ إلى صاحبك. قال: فلمَّا رَجَعْتُ إلى عبد الملك فأعطيتُه جوابَ كِتابه وخَبَّرتُه بما دَارَ بيننا نَهَضْتُ، ثم ذَكَرْتُ الرقعةَ، فرجعتُ فدفعتُها إليه، فلمَّا وَلَّيْتُ دعانِي، فقال لي: أَتَدْرِي ما في هذه الرقعةِ؟ قلتُ: لا، قال: فيها: العَجَبُ لِقَوْمٍ فيهم مثلُ هذا كيفَ وَلَّوْا أُمورَهم غيرَهُ؟ قال: فلما وَلَّيْتُ دعاني، فقال لي: أَفَتَدْرِي مَا أرادَ بهذا؟ قلتُ: لا، قال: حَسَدَنِي عليكَ، فأرادَ أن أَقْتُلك، قال: فقلتُ: إنما كَبُرْتُ[3] عندَه ـ يا أميرَ المؤمنين ـ لأنه لم يَرَكَ، قال [١/١٢٨] فرجَعَ الكلام إلى مَلِكِ

---

(١) بهامش ي: فقال له إليون بالرومية قد علمت الخ وكذا أثبتها رايت منه.

(٢) في ر: وقال لي.

(٣) كذا رسمت في ر بالباء والتاء وعليها «معاً» لتقرأ كبرت وكثرت.

الروم، فقال: لِلّهِ أبُوه! ما عَدَا مَا في نَفْسِي!.

***

وحُدِّثْتُ أنَّ معاويةَ كان إذا أتاه عن بَطْرِيقٍ من بَطارقةِ الرُّوم كَيْدٌ للإسلامِ احتالَ له، فأهْدَى إليه وكاتَبَه، حتى يُغْرِيَ به مَلِكَ الروم، فكانت رُسُلُهُ تأتيه فتُخبرُهُ بأنَّ هناك بِطَريقاً يُؤْذِي الرُّسُلَ، ويَطْعَنُ عليهم، ويسيءُ عِشْرَتَهُمْ، فقال معاويةُ: أيُّ مَا في عَمَلِ الإسلامِ أَحَبُّ إليه؟ فقيل له: الخِفافُ الحُمْرُ ودُهْنُ البَانِ، فألْطَفَهُ بهما، حتى عَرَفَتْ رسُلُه باعتيادِهِ، ثم كَتَبَ كتاباً إليه، كأنه جوابُ كتابِهِ[1] منه، يُعْلِمُهُ فيه أنه وَثِقَ بما وَعَدَهُ به من نَصْرِه وخِذْلان مَلِكِ الروم، وأمَرَ الرَّسولَ بأن يَتَعَرَّضَ لأنْ يُظْهَرَ على الكتابِ، فلمَّا ذَهَبتْ رُسُلُه في أوقاتها ثم رَجعَتْ إليه قال: ما حَدَثَ هناك؟ قالوا: فلانٌ البَطْرِيقُ رأيناهُ مقتولاً مصلوباً، فقال: وَأنَا[2] أبو عبد الرحمن!!

***

وَحُدِّثْتُ أنَّ مَلِكَ الرُّوم في ذلك الأوَانِ وَجَّهَ إلى معاويةَ: إنَّ المُلُوكَ قَبْلَك كانتْ تُرَاسِلُ الملوكَ مِنَّا، ويَجْهَدُ بعضُهم في أنْ يُغْرِبَ على بعضٍ، أفَتَأْذَنُ في ذلك؟ فأذِنَ له[3]. فوجَّهَ إليه برجلين: أحدُهما طويلٌ جَسِيمٌ، والآخرُ أيَّدُ[4]. فقال معاويةُ لعَمْرٍو: أمَّا الطويلُ فقد أَصَبْنا كُفْأَهُ، وهو قَيْسُ بنُ سعدِ بنِ عُبَادَةَ، وأمَّا الآخرُ الأيِّدُ فقد احتَجْنا إلى رأيِكَ فيه. فقال: ههنا رجلانِ، كلاهُما إليك بَغيضٌ: مُحمَّدُ بنُ الحَنَفِيَّةِ، وعبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ. فقال معاويةُ: مَنْ هُوَ أقْرَبُ إلينَا على

---

(١) في الأصل وهامش هـ: كتاب منه.

(٢) في ف وج وهـ وظ: أنا، بلا الواو.

(٣) بهامش ي ما نصه: «لا تصحّ هذه الحكاية بوجه. قاله أبو عمر بن عبد البر». وانظر رغبة الآمل ٥/٤٠. والخبر والأبيات في سير أعلام النبلاء ٣/١١٢.

(٤) أي قويّ.

حالٍ. فلما دخلَ الرجلانِ وَجَّهَ إلى قيسِ بنِ سعدِ بنِ عُبادَةَ يُعْلِمُهُ؛ فدخل قيسٌ، فلما مَثَلَ بين يَدَيْ معاويةَ نَزَعَ سَراوِيلَهُ فرمى بها إلى العِلْجِ، فلبسها فنالتْ ثَنْدُوَتَهُ[1]، فأطْرَقَ مغلوباً. فَحُدِّثْتُ[2] أنَّ قَيْساً لِيمَ في ذلك، فقيلَ له: لِمَ تَبَذَّلْتَ هذا التَّبَذُّلَ بحَضْرَةِ معاويَةَ، هلاَّ وَجَّهْتَ إلى غيرها[3]؟ فقال:

[٢٩٦] أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمَ النَاسُ أَنَّها ... سَراوِيلُ قَيْسٍ والوُفودُ شُهودُ
وأَلاَّ يَقُولُوا غَابَ قَيْسٌ وهذه ... سَراويلُ عادِيٍّ نَمَتْهُ ثَمودُ [٢/١٢٨]
وإنِّي مِنَ القومِ اليَمانِينَ سَيِّدٌ ... وما النَّاسُ إلاَّ سَيِّدٌ ومَسُودُ
وبَذَّ جَمِيعَ الخَلْقِ أَصْلي ومَنْصِبي ... وجِسْمٌ بِهِ أَعْلُو الرِّجالَ مَدِيدُ

وكان قيسٌ سِنَاطاً، فكانتِ الأنصارُ تقول: لَوَدِدْنا أنَّا اشْتَرَيْنا له لِحْيَةً بِأَنْصافِ أَمْوَالِنا. وسَنَذْكُرُ خبَره بعد انقضاء الخبر إن شاء الله تعالى[4]. ثمَّ وَجَّهَ إلى محمدِ ابن الحَنَفِيَّةِ، فدخلَ، فَخُبِّرَ بما دُعِيَ له، فقال: قولوا له: إنْ شاءَ فَلْيَجْلِسْ وَلْيُعْطِنِي يَدَهُ حَتَّى أُقِيمَهُ، أو يُقْعِدَني، وإنْ شاءَ فليكُنِ القائِمَ وأنا القاعِدُ! فاختارَ الروميُّ الجلوسَ، فأقامه محمدٌ، وعَجَزَ هو عن إقْعَادِهِ، ثمَّ اخْتَارَ أنْ يكونَ محمدٌ هو القاعدَ، فَجَذَبَهُ فأَقْعَدَه، وعجزَ الروميُّ عن إقامَتِهِ، فانْصَرَفَا[5] مغلوبَيْنِ.

***

وحدَّثني أحدُ الهاشميِّين أنَّ مَلِكَ الرُّومِ وَجَّهَ إلى معاويةَ بقارورةٍ، فقال:

---

(١) بعده في زيادات ر: «الثندوة: ما اسودَّ حول الحلمة». وبهامش الأصل ما نصّه: «الثندوة اللحم حول الثديين. قال يعقوب: إذا ضممت الثاء همزت وإذا فتحت لم تهمز» وانظر إصلاح المنطق، ١٣٢.

(٢) في الأصل: فحدثنا.

(٣) في الأصل: وجهت إليه غيرها. وبهامشه كما في المتن.

(٤) بعده في زيادات ر: «السِّناط والسُّنُوط: أن يكون في الذقن شيء من الشعر، ولا يكون في العارضين شيء، فإن لم يكن فيهما جميعاً فهو الشطُّ».

(٥) في ي و د: فرجعا.

آبَعَثْ إليَّ فيها من كلِّ شيءٍ، فَبَعَثَ إلى ابنِ عباسٍ، فقال: لِتُمْلأْ له مَاءً[1]، فلما وُرِدَ بها[2] على مَلِكِ الروم قال: لِلّهِ أبُوه، ما أدْهاهُ! فقِيلَ لابنِ عباسٍ: كيفَ آخْتَرْتَ ذلك؟ فقال: لقولِ[3] الله عزَّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[4]

وقيلَ لرجلٍ من بني هاشمٍ، وهو جَعْفَرُ بنُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ، وكان يُقَدَّمُ في مَعْرِفَتِهِ[5]: ما طَعْمُ الماء؟ فقال: طَعْمُ الحَيَاةِ.

***

وأمَّا عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ فَيَذْكُرُ أَهْلُهُ أنَّه قال: عَالَجْتُ لِحْيتي لِتَتَّصِلَ لي، إلى أنْ بلغتُ سِتِّين سنةً، فلمَّا أَكْمَلْتُهَا يَئِسْتُ منها.

***

وكان قيسُ بنُ سعدٍ شجاعاً جَواداً سيِّداً، وجاءته عجوزٌ قد كانتْ تَأْلَفُهُ، فقال لها: كيفَ حالُكِ؟ فقالت: ما فِي بيتي جُرَذٌ، فقال: ما أَحْسَنَ ما سَأَلْتِ! أَمَا والله لَأُكْثِرَنَّ جُرْذَانَ بَيْتِكِ.

وكان سعدُ بنُ عُبادةَ حيثُ تَوَجَّهَ إلى حَوْرَانَ قَسَمَ مالَه بين وَلَدِهِ، وكان لهُ حَمْلٌ لم يَشْعُرْ به، فلما وُلِدَ له، قال له عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ـ يعني قَيْساً ـ: لَأَنْقُضَنَّ ما فعلَ سعدٌ، فجاءه قيسٌ، فقال: يا أميرَ المؤمنين! نصيبي لهذا المولودِ، ولا تَنْقُضْ ما فَعَلَ سعدٌ.

---

(١) في الأصل: بقارور... إلي فيه... ليُملأ به ماء، وفي ف: إلي فيه.. ليملأ به. وضبط ليملأ في ج بالياء والتاء.

(٢) في الأصل و ف و هـ: به.

(٣) في ي و د: من قول.

(٤) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٥) في الأصل و هـ: لرجل من بني هاشم مقدَّم في معرفته وهو جعفر.. بن الحسين. وفي ج: مقدم في معرفته، وليس فيها قوله وهو... الحسين.

قال أبو العباس: حُدِّثْتُ بهذا الحديث مِنْ حيثُ أَثِقُ به: أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ ـ [٢٩٧] رحمهما الله ـ مَشَيَا إلى قيسِ بنِ سعدٍ يَسْأَلَانِهِ [١/١٢٩] في أمرِ هذا المولود، فقال: نصيبي له ولا أُغَيِّرُ ما فعل سعدٌ.

وكان معاويةُ كتب إلى قيسِ بنِ سعدٍ[١]، وهو وَالِي مصرَ لِعَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ رحمه الله: أمّا بعد، فإنَّكَ يَهُودِيُّ بنُ يَهودِيٍّ، إن غَلَبَ أَحَبُّ الفريقين إليك عَزَلَكَ وٱسْتَبْدَلَ بك، وإن غَلَبَ أبغضُهما إليك قَتَلَكَ، وَمَثَّلَ بِكَ، وقد كان أَبُوك فَوَّقَ سَهْمَه، ورمَى غَرَضَهُ، فأَكْثَرَ الحَزَّ، وأَخْطَأَ المَفْصِلَ، حتَّى خَذَلَهُ قَوْمُهُ، وأَدْرَكَهُ يومُهُ، فماتَ غريباً بحَوْرانَ، والسلام[٢]. فكتب إليه قيسٌ: أمّا بعدُ، فإنَّك وَثْنُ بنُ وَثْنٍ، لم يَقْدُمْ إيمانُك، ولم يَحْدُثْ نِفَاقُكَ، دَخَلْتَ في الدين كُرْهاً، وخرجتَ منه طوعاً، وقد كان أبِي فَوَّقَ سهمَهُ، ورَمَى غَرَضَهُ، فَسَعَيْتَ عليه أنتَ وأبوكَ ونُظَرَاؤُكَ، فلم تَشُقُّوا غُبارَهُ، ولم تُدْرِكُوا شَأْوَه، ونحن أنصارُ الدِّين الذي خرجتَ منهُ، وأعداءُ الدين الذي خرجتَ إليه، والسلام[٢].

وكان قيسٌ موصوفاً مع جماعةٍ قد بَذُّوا النَّاسَ طولاً وجمالاً، منهم: العباسُ ابنُ عبدِ المطلب رحمه الله، ووَلَدُهُ، وجريرُ بنُ عبد الله البَجَلِيُّ، والأَشْعَثُ بنُ قيسٍ الكِنْدِيُّ، وعَدِيُّ بنُ حاتمٍ الطائِيُّ، وٱبنُ جِذْلِ الطِّعَانِ[٣] الكِنانيُّ، وأبو زُبَيْدٍ الطَّائِيُّ، وزَيْدُ الخَيْلِ بنُ مُهَلْهِلٍ الطائيُّ.

وكان أَحَدُ هؤلاء يُقَبِّل المرأة على الهَوْدَجِ، وكان يقال للرجل منهم: مُقَبِّلُ الظُّعُنِ، وكان طلحةُ بنُ عُبيد الله موصوفاً بالتَّمامِ.

---

(١) بهامش ي ما نصه: «هذه حكاية غير صحيحة»؟. وقد أثبتها المرصفي، انظر رغبة الآمل ٥/٤٣ ـ ٤٤.

(٢) «والسلام» من ر.

(٣) تحت الطعان في ج: «خف» أي بتخفيف العين. وضبط في ر: ابن جذلٍ الطعّان، خطأ.